شرارة آذار

دعوة للتفكير بصوت مرتفع

INFOSHRARA@GMAIL.COM

العدد ٨٧ ١٣/١٠-١٩/١٠/٢٠١٣

دولاح

اعطاء الأمل بيد وقتله بيد

جدار الفصل التركي

حكاية المؤامرة

أريد صورة لهم

ردّ فعل

اخفاقات "الشيخ" زهران

صبر درويش

تسعى بعض التشكيلات المقاتلة في المعارضة السورية إلى طرح نفسها كطرف سياسي في المعادلة السورية، وبرز ذلك خصوصا بعد أن أعيد وضع جنيف٢ على الطاولة وبدأت ملامح حل سياسي تلوح في الأفق، إذ بعد بيان الـ١٣، والذي عبر عم موقف ثلاثة عشر تشكيلا عسكريا، جاء الاعلان عن تشكيل جيش الاسلام بقيادة زهران علوش، الذي عبر في أكثر من مناسبة رفضه للائتلاف الوطني السوري المعارض، ورفض الحل السياسي المطروح جملة وتفصيلا، وأكد على أحقية من يقاتل على الأرض في اتخاذ القرارات المصيرية فيما يخص مستقبل سوريا، رغم أن علوش لم يقدم حتى الان تصورا واضحا حول هذا المستقبل. وفي الوقت الذي يسعى فيه علوش وغيره من القادة العسكريين إلى تقديم نفسهم سياسيا، سنجد تراجعا واضحا في ممارستهم العسكرية على الأرض، وهو ما تثبته أشهر طويلة من حالة الدفاع التي اتخذتها التشكيلات المحيطة بدمشق، والخسارات التي منيت بها على الصعيد العسكري.

فقد سقطت جبهة لعتيبة، البوابة الجنوبية للغوطة الشرقية، بيد قوات الأسد، وخسر الثوار واحدة من أهم البوابات على الاطلاق، ليس بين الغوطة الشرقية والمنطقة الجنوبية بالكامل (حتى الحدود الأردنية)، بل بين جنوب سوريا وشمالها؛ وهي خسارة عظيمة مازال سكان الغوطة الشرقية ذاتهم مذهولين كيف حدث ذلك. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن قوات الأسد راحت تتقدم عبر الأسابيع الماضية حتى سيطرت على قرية شبعا –القريبة من العتيبة- واليوم تحاصر قرية الذيابية –القريبة من شبعا- وبذلك تكاد تحكم سيطرتها على طول خط المطار الدولي.

تقع العتيبة شرقي العاصمة دمشق على بعد ثلاثين كيلومترا منها، كما تبعد حوالي ١١ كم عن مطار دمشق الدولي، تعد لعتيبة بوابة الغوطة الشرقية على البادية السورية، ومنها على الأراضي الاردنية، وللعتيبة أهمية حاسمة لدى الثوار وذلك كونها تعد عقدة مواصلات تصل بين جنوب سوريا وباقي المحافظات الأخرى، عن طريقها تمكن الثوار عبر الأشهر السابقة من نقل السلاح والذخيرة والمؤونة والدواء، من شمال البلاد إلى جنوبها وبالعكس، كما تمكن ثوار الغوطة الشرقية ذاتهم، من ضمان إمدادات السلاح والذخيرة وغيرها لسكان الغوطة وتشكيلاتها المقاتلة، حتى كادت تكون كل حواجز قوات الأسد المحيطة بالغوطة لا تؤثر شيئا على الوضع الاستراتيجي للمنطقة.

التتمة صفحة.. ٢..

تتمة: اخفاقات "الشيخ" زهران

صبر درويش

يسيطر اثنين من أقوى التشكيلات العسكرية المعارضة على جبهة لعتيبة، لواء الاسلام وجبهة النصرة. ومن المعروف أن لواء الاسلام كان مسيطرا ليس فقط على العتيبة. وبل وأيضا على طريق المواصلات بالكامل الواصل شمال البلاد بجنوبها، وكان للواء الاسلام "مكاتب سفريات" في دوما وفي أماكن أخرى، يتمكن المسافرون من الحجز لديهم والسفر عن طريق القوافل التي يسيرونها بشكل دائم. ومن المعلوم أن أغلب المسافرين كانوا من الجنود المنشقين. وفي أغلب الأحيان يدفع المسافر حوالي ٢٥٠٠٠ ليرة سوريا أجرة السفر. كما يتم مصادرة سلاحه في حال كان منشقا. وفي كثير من الأحيان لم يكن يمتلك الشبان المال اللازم للسفر. فكان يتم التواصل مع أهاليهم ويتم الاتفاق على الدفع اللاحق. وفي كثير من الأحيان كان الأهالي يدفعون مبالغ طائلة مقابل أن يصل أبنائهم سالمين. إضافة إلى المسافرين كانت القوافل تنقل السلاح والمؤونة القادمة إلى التشكيلات العسكرية المختلفة. وكله هذا كان يترتب عليه دفع الأموال الطائلة مقابل تأمين إيصال القوافل سالمة (تقدر هذه الأموال بملايين الدولارات).

يمتد خط القوافل من الغوطة الشرقية باتجاه العتيبة –جنوب- ومنها باتجاه أطراف عدرا، ليتم العبور فيما بعد باتجاه الضمير، ومنها باتجاه الشمال الشرقي حتى بلدة القريتين شرقي مدينة حمص. بعدها تتمكن القوافل من الاتجاه نحو الحدود العراقية أو التركية. فالقريتين عقدة مواصلات كانت تسيطر عليها مجموعات تابعة للواء الاسلام. شبيهة تماما ببلدة العتيبة، خط القوافل هذا الذي نحاول شرحه. كان يشكل عصب المواصلات الرئيسي بالنسبة للثوار في عموم سوريا. بعد خسارة لعتيبة، خسر الثوار بلدة القريتين بنفس السيناريو الذي حدث في العتيبة، وأجبروا على التراجع نحو الشرق. وهذا ما قد يبرر ربما المعارك التي راحت تشهدها المنطقة الممتدة شرقي مدينة السلمية التابعة لمحافظة حماه. ففي الوقت الذي تسعى فيه تشكيلات الثوار إلى الالتفاف شمال شرق حمص لفتح طريق إلى حمص المحاصرة. كما يعلنون ذلك. نجد أن هذه العمليات تتمحور حول إيجاد طريق بديل لبلدة القريتين. وإعادة السيطرة على طريق قوافل جديد. وهو ما يؤكده تمركز عمليات الثوار شرق وشمال شرق مدينة السلمية. بمعنى أن الثوار يسعون إلى السيطرة على طريق الرقة الدولي. وهو ما يسمح لهم بالوصول الآمن إلى الحدود. وهو شيء ربما يؤكده سيطرتهم على مدينة خناصر الواقعة بين حلب والسلمية. وهو ما يشير إلى الخط الجغرافي للعمليات العسكرية للثوار الذين يسعون من خلاله إلى فتح طريق باتجاه الرقة وآخر باتجاه حلب.

إلا أن السؤال يبرز هنا، لماذا يسعى لواء الاسلام والألوية المرافقة له ككتائب الفاروق والجبهة.. إلخ إلى التوجه شمالا في الوقت الذي تبدو فيه جبهة العاصمة دمشق أكثر أهمية وحسما؟

في الحقيقة لم تتوقف خسارة تشكيلات الغوطة الشرقية القاتلة وعلى رأسها لواء الاسلام عند العتيبة. فخلال الأيام القليلة الماضية خسر الثوار السيطرة على بلدة شبعا الموازية لطريق مطار دمشق الدولي من جهة الشرق. كما تمكنت قوات الأسد من السيطرة على البلدة الموازية لشبعا من جهة الغرب وهي بلدة الذيابية. وإذا ما أخذنا سقوط أكثر من عشرة بلدات في الغوطة بيد قوات الأسد. وتتبعنا خط السير العسكري لقواته، سنجد أنه يتم العمل بشكل ممنهج في سبيل إحكام السيطرة على أهم منطقتين في محيط دمشق، المنطقة الجنوبية الممتدة من طريق المطار وحتى مدينة داريا. ومن طريق المطار وحتى دوما شرقا. وهو شيء رغم أنه مستبعد الحدوث إلا أنه على أقل تقدير سيفرض حصارا من الصعب خرقه. وهو اسلوب لتركيع المدن جوعا في سياق السياسة التي ينتهجها نظام الأسد في محاولته تركيع المدن الثائرة عبر اطباق الحصار الطويل عليها.

لم تكن سيطرة قوات الأسد على بلدة العتيبة مصادفة، بل سبقها ومنذ بداية العام الجاري تطبيق سياسة تجفيف منابع الدعم. وتحديدا السلاح منها. وبالتزامن مع ذلك تحركت قوات الأسد منذ منتصف آذار الماضي في سبيل تطبيق هذه السياسة. سياسة التجفيف. وفي منتصف نيسان أطبق الحصار بالكامل على مدن وبلدات الغوطة الشرقية وحتى على المنطقة الجنوبية بالكامل. وكان من أهم النتائج التي ترتبت على هذه السياسة. من جهة القوى المدنية دفعهم باتجاه القبول بهدنة مع نظام الأسد. ومحاولة هذا الأخير فك الثوار عن حاضنتهم الشعبية (وهو شيء لم ينجح حتى الآن). ومن جهة القوات العسكرية للثوار سعى النظام إلى إضعافها قدر الإمكان واستنزاف قدراتها العسكرية. وعلى هذا الصعيد كان قد نجح في أمرين، إضعاف التشكيلات العسكرية المتواضعة أصلا والتي تفتقد إلى التمويل "الدولي". ودفع الكثير من عناصرها للانضمام إلى التشكيلات العسكرية الأقوى والمدعومة في إطار دولي. كلواء الاسلام وجبهة النصرة وغيرهما. من جهة. وتقوية التشكيلات المتطرفة المدعومة سعوديا وخليجيا التي تمكنت من الحفاظ على مخزوناتها من الأسلحة والذخيرة وحتى الأموال. بحيث تمكنت من الاستمرار في دفع رواتب المقاتلين وتوزيع بعض السلل الغذائية على عوائلهم. وهو المناخ الذي جعلها القوى الرئيسية في المنطقة. من جهة أخرى.

في الحقيقة إذا ما دققنا في العمليات أعلاه سنلاحظ أن المستفيد الأساسي من خسارة العتيبة ومن ثم احكام الحصار على الغوطة الشرقية. هم بعض التشكيلات العسكرية (المتطرفة عموما) ونظام الأسد. وهي مفارقة تثير جنون سكان الغوطة الشرقية. وربما تشكل ملامح إجابة حول السؤال، كيف خسر لواء الاسلام وجبهة النصرة السيطرة على بلدة العتيبة خلال عملية لم تستغرق سوى بضعة أيام؟ ولماذا نقلوا عملياتهم باتجاه المنطقة الوسطى ولم يعملوا على استعادة السيطرة على جبهتهم الجنوبية؟ والسؤال الذي لا يقل أهمية، لماذا تحولت تشكيلات الثوار في محيط دمشق من الهجوم إلى سياسة الدفاع المكلفة بالنسبة للثوار؟

الهجرة.. على لسان النساء السوريات

في الوقت الذي تتفاقم فيه أزمة اللاجئين السوريين في لبنان وتتزايد التصريحات والتعليقات والممارسات العنصرية بحقهم. جاء عرض الفيلم الوثائقي "نحنا مو هيك" من إنتاج مؤسسة "هينرش بول" الألمانية في السابع من هذا الشهر في سينما متروبوليس في بيروت. ليذكر من جهة بالجانب الانساني للقضية اللاجئين. وبكونهم أفرادا متنوعين لكل واحد منهم قصته وذكرياته وهمومه ومعاناته. وليركز من جهة ثانية على النساء اللاجئات تحديدا. فهن يتحملن عبء اللجوء وظروفه الصعبة ومسؤولية الأولاد. وفوق ذلك. هن معرضات - كونهن نساء - الى العنف والاستغلال. كما قالت كارول منصور مخرجة الفيلم.

وصل عدد اللاجئين السوريين في لبنان بحسب المفوضية العليا لشؤون اللاجئين الى نحو ٧٦٠ ألفا. ما يقارب الـ ٥٧٧ منهم نساء وأطفال. وتخطى المليون بحسب مصادر حكومية لبنانية.

"نحنا مش أرقام" تقول سهام وهي واحدة من شخصيات الفيلم الذي يخبر قصص خمس نساء لجأن من مدن ومناطق متعددة من سوريا الى لبنان. وسكن في مناطق مختلفة.

قدمت سهام من مخيم اليرموك للفلسطينيين في دمشق بعدما خسرت زوجها. "حب حياتها". الذي رأته يموت أمامها وأمام طفلتيها ذاتي الأعوام الخمسة. كانوا جميعهم في السيارة يدخلون الى المخيم (الذي يفرض النظام السوري عليه حصارا محكما منذ أشهر ويمنع دخول المواد الغذائية اليه. في ظل انقطاع كامل للتيار الكهربائي وازدياد وتيرة القصف) فأصيب برصاصة قناص.

تنقلت في لبنان مع طفلتيها اللتين لا تفارقانها بين عدة بيوت ومناطق، بين البقاع ومخيم شاتيلا وعين الرمانة وشويفات. وجدت بعد عناء طويل عملا لها في مجالها كمساعدة إجتماعية. تروي سهام بعمق وإحساس وسخرية مرة جزءا من قصتها ومعاناتها مع الحرب والموت واللجوء ومسؤولياتها تجاه ابنتيها. وهي مستمرة في حياتها من أجلهما. تقول في الفيلم.

في البقاع الغربي تسكن أم عمر وأم راند (في أخر العشرينات) في خيم. وهما قدمتا مع عائلاتيهما من منطقة الكسوة في ريف دمشق. تكلمنا بالكثير من العفوية والحب والفرح عن حياتهما السابقة وذكرياتهما وبيتيهما وعن قمر دمشق والحنين للتفاصيل اليومية وتحضير الأكل المطيب. وتكلمنا أيضا عن تجربة ولادتهما في لبنان التي حصلت بعد أسابيع من قدومهما اليه. وعن ظروف الحياة الحالية والغربة والذل وعيشتهما مع أطفالهما في الخيم التي تغرق جزء منها في مياه الشتاء الماضي.

"لسنا حاجة للكلام عند النساء اللواتي قابلناهن وعند الرجال أيضا" تقول كارول منصور.

وتضيف منى الخالدي، التي عملت على الإعداد، أن "حاجات اللاجئين أبعد من الأكل والفرش. هم بحاجة لأن يتكلموا ويجدوا من يسمع قصصهم ويلمس قساوة وضعهم ويتعرف عليهم. نحن مين. من وين جايين".

لكن الكلام يقل أو ينعدم عندما يتعلق الموضوع بحالات إستغلال أو عنف أو إغتصاب أفادت تقارير لمنظمات دولية بتعرض بعض النساء اللاجئات لها. تتابع الخالدي. إذ غالبا ما يجري التكتم عن هذه المواضيع، مما يصعب معرفة الحجم الفعلي لهكذا ممارسات.

قبلت سمر أن تتكلم من دون أن يظهر وجهها. هي التي قدمت مع عائلتها من الزبداني في ريف دمشق وتسكن في بعلبك. قررت تخطيب ابنتيها وأعمارهما ١٤ و١٦ سنة. وهي تعبر أمام الكاميرا عن تناقضاتها وتخبطها وقلقها وشكها من صحة قرارها. هي تعرف أنهما صغيرتان جدا على الزواج ولا تعرفان شيئا عن الجنس. وكأننا تريدان متابعة دراستهما. لكنها عاجزة وخائفة عليهما من الحاضر والمستقبل ومن إمكانية تعرضهما الى الاغتصاب كما حصل مع كثيرات في سوريا بحسب ما قالت.

في بيروت. تتابع الكاميرا حياة عفراء، الشابة التي درست الأدب الانكليزي وقدمت من حلب. تعيش مع أختها وصديقة أختها وصديقها في بيت واحد. وهو أمر لم يكن واردا لولا حصول الثورة واضطرارهم الى ترك بلدهم كما تقول. هي تبحث عن شغل لها وتعمل في الوقت نفسه على مشروع موسيقي مع رفاقها. خلعت أختها الحجاب عند مجيئها الى لبنان بعد اندلاع الثورة في سوريا. وأرادت من خلال ذلك القول بأن الثورة ليست إسلامية كما يدعي النظام بل هي ثورة لكل السوريين، من أجل كرامة الكل وحريتهم.

تعبر عفراء ومعها النساء الأربع خلال الفيلم عن مشاعرهن السلبية تجاه لبنان وبيروت وعن شوقهن لبلدهن. "لبنان بلد صعب وكذلك بيروت. هي مدينة متعبة وغالية. كل النساء عبرن عن إحساسهن بالغربة والوحشة والوحدة هنا". تقول منى الخالدي.

هن يردن العودة الى بلدهن واسترجاع حياتهن لكنهن مرغمات على البقاء في لبنان الى حين انتهاء الحرب في سوريا. "ندرك أن المشكلة كبيرة وعدد اللاجئين الموجودين في لبنان تخطى قدراته وإمكانياته على التحمل. لكن حل المشكلة لا يكون بالممارسات العنصرية. بل بالانفتاح على الآخر والتماس أوجاعه ومعرفة قصته والتعاطي مع الموضوع من جانبه الانساني. وهذا كان هدف الفيلم" تختم كارول منصور

جدار الفصل التركي

مجيد محمد

منطقة الجزيرة (محافظة الحسكة)، الواقعة شمال سوريا، تعرضت منذ بداية الثورة كغيرها من المناطق الأخرى، إلى أشكال مختلفة من المعاناة، تراوحت ما بين المعارك بكل تجلياتها، وموجات نزوح السكان منها باتجاه الحدود التركية وأيضا العراقية. كما احتضنت الآتين إليها من المناطق السورية الأخرى بصورة متواترة، رغم معاناتها من انعدام الخدمات.

مشهد النزوح باتجاه الأراضي التركية وكذلك العراقية كان هو الطاغي في الآونة الأخيرة، وخصوصا مع اشتداد حدة المعارك بين قوات الحماية الشعبية (YPG) التابعة لحزب الاتحاد الديموقراطي، وبين بعض الكتائب الإسلامية المتشددة وعلى رأسها تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) وتنظيم جبهة النصرة.

وبينما فتحت حكومة إقليم كردستان العراق، الباب مشرّعاً أمام النازحين الأكراد الفارين من جحيم الحرب التي حلت في مناطقهم، ماطلت الحكومة التركية في استقبالهم، ما دفع الكثيرين من الناشطين والسياسيين في المنطقة الكردية الى اتهام الحكومة التركية بممارسة سياسة الكيل بمكيالين لأسباب تتعلق بالصراع الدائر ما بين تركيا وبين حزب العمال الكردستاني المناهض لها.

تركيا لم تكتف بذلك، بل قررت تشديد اجراءاتها على الحدود من سوريا. دارا حسن وهو ناشط حقوقي، تحدث لـ"المدن" عن وجود نوايا لدى الحكومة التركية لبناء جدار حول مدينة القامشلي المحاذية لمدينة نصيبين التركية، إضافة الى عدد من المدن الحدودية في محافظة الحسكة كرأس العين والدرباسية.

واعتبر أن تركيا تسعى من وراء هذا الاجراء الى وضع حد أمام عمليات نزوح المهاجرين الأكراد الذين قد يشكلون عبئا إضافيا على كاهل تركيا، ولا سيما أن المناطق المتاخمة لمنطقة القامشلي على الجانب التركي هي مناطق ذات غالبية كردية.

هدف اضافي لتركيا هو محاولة محاولة وقف عمليات تهريب السلاح من داخل تركيا من قبل التنظيم الأم "حزب العمال الكردستاني" لحليفه وممثله في سوريا حزب الاتحاد الديموقراطي، تفاديا لتعاظم قوته المسلحة التي قد تتحول في لحظة ما الى قوة مناهضة للمصالح التركية داخل الأراضي السورية.

دوافع لا تجد لها اي تقبل في أوساط أبناء المحافظة. الموقف الأكثر وضوحا في الاعتراض على اي جدار قد تنبيه تركيا جاء على لسان رئيسة بلدية نصيبين التركية، عائشة كوكان، القيادية في حزب السلام والديموقراطية.

كوكان أكدت بأن أهالي مدينة نصيبين سيرفضون دعوات الحكومة ومحاولتها لبناء هذا الجدار، على غرار ما فعلوا عندما أغلقت الحكومة التركية المعبر بين نصيبين والقامشلي، والذي يوفر العديد من فرص العمل لأهالي المدينة من خلال عمليات التبادل التجاري بين الجانبين.

بدورها، أعلن العديد من منظمات المجتمع المدني التركية رفضها بناء جدار فاصل بين المدينتين. وفندت حجج الحكومة التي قدمتها في وضع حد لعمليات التسلل غير الشرعي وتهريب السلاح، من خلال مقارنة الوضع الحدودي في مناطق أخرى تسيطر عليها قوات غير كردية.

ويقوم العديد من هذه المنظمات بجمع المساعدات الإغاثية لأهالي مدينة القامشلي وتسليمها الى وحدة الإغاثة التابعة للهيئة الكردية العليا من خلال المعبر المغلق، بموافقة الحكومة التركية.

القيادي في تنسيقية الحسكة الموحدة، "ميرال"، أوضح لـ"المدن"، أن المحافظة الشمالية استقبلت العديد من النازحين السوريين من حلب وحمص ودير الزور وغيرها من المناطق.

وتفيد إحصائيات بعض المكاتب المتخصصة عن بلوغ أعداد النازحين قرابة الـ٧٠٠ ألف. ونبّه إلى أنه في حال شرعت الحكومة التركية في تنفيذ مخططها ببناء الجدار فإنها ستقامر بأوضاع السوريين في تلك المناطق، لأنهم يعتمدون أساسا على عمليات التهريب من أجل الحصول على الأساسيات اللازمة لاستمرار الحياة من أدوية وحليب أطفال وألبسة وغيرها من السلع الضرورية وخاصة بعد إغلاق المعابر الرسمية.

لكن أوضاع اللاجئين يبدو أنها في أسفل قائمة اهتمامات تركيا التي لم تخف قلقها المتزايد من سيطرة حزب الاتحاد الديموقراطي -الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني - على المناطق الحدودية ذات الغالبية الكردية، خوفا من امتداد تأثير هذه السيطرة على المناطق التركية المتاخمة لها ذات الغالبية الكردية.

دوست وهو من نشطاء المنطقة، اعتبر في حديث لـ"المدن"، أن المخاوف التركية تستند إلى أرضية قوية، فاتفاقية السلام بين الحكومة وحزب العمال الكردستاني تتعرض للكثير من العراقيل، وتتوجس تركيا من اتخاذ الحزب للمناطق الكردية في سوريا منطلقا لعمليات تستهدف الأراضي التركية مستقبلا، أو أن تصبح نقطة تجمع لمقاتلي الحزب المناهضين لها.

ووفقا للإعلامي والناشط السياسي زانا عمر، سعت الحكومة التركية لاتخاذ إجراءات احترازية للحد من آثار سيطرة الحزب على المناطق الكردية في سوريا، من خلال الضغط على الكتائب الإسلامية المدعومة تركيا لفتح جبهات عديدة مع قوات الحزب، وكذلك من خلال التضييق على اللاجئين الأكراد. وفي خطوة يمكن أن توصف بأنها أيضا احترازية قامت الحكومة التركية بترحيل العديد من النشطاء الأكراد السوريين من أراضيها.

لكن بالنسبة لآباز، وهو موظف في حقل الرميلان، فإن لدى تركيا مطامع اقتصادية وليس فقط مخاوف أمنية. وأوضح لـ"المدن"، أنه يوجد في المحافظة ١٢٠٠ بئر للنفط، متوقفة عن العمل بسبب عمليات التخريب التي تعرض لها الأنبوب الواصل بين حقل الرميلان النفطي شرقي القامشلي ومصفاة حمص من قبل بعض الكتائب الإسلامية، التي لا تزال تقصف بعضاً من هذه الآبار بين الحين والآخر.

وهو ما ذهب إليه الناشط السياسي نوشين، الذي رأى أنّ هذه الثروة النفطية تمثل هاجساً بالنسبة لتركيا، فهي تحاول العمل على منع القوات الكردية من الاستفادة من هذه الآبار للحصول على مورد مادي يمكن أن يؤدي إلى تقوية دورها وحضورها العسكري في المنطقة.

أما أبو شيروان الذي يملك محلاً للبقالة في سوق القامشلي، فقارن بين اغلاق الحكومة التركية للمعابر الرئيسية الثلاثة في منطقة الجزيرة (معبر القامشلي – نصيبين، الدرباسية، رأس العين) منذ الشهر السابع من عام ٢٠١١، واستمرار العمل في باقي المعابر الحدودية على طول الحدود المشتركة والممتدة على مسافة ٩٠٠ كيلومتر.

وهو ما حاول أوميد عيسى، وهو تاجر يعمل في مجال الاستيراد والتصدير، تفسيره في حديث لـ"المدن" قائلاً "المنطقة الشمالية الشرقية من سوريا لها أهمية إستراتيجية كبيرة لتركيا فهي تمتد لمسافة طويلة نسبياً ويصعب السيطرة عليها، ويتوزع فيها الأكراد، الذين تنظر إليهم تركيا كمصدر تهديد دائم ومستمر لحالة الاستقرار الداخلي فيها".

الثورة السورية: هل تنزلق نحو التشدد؟

جيمس تروب

قضيتُ معظم الأسبوع الماضي في أنطاكيا، وهي مدينة عتيقة أضحت اليوم بمثابة مخيم مؤقت للمقاتلين السوريين ونقطة انطلاق بالنسبة للصحفيين وموظفي المنظمات الإنسانية العاملين في سوريا. وكان موضوع واحد يشغل بال الجميع في هذه المدينة التركية، ليس وحشية النظام في دمشق، وإنما العنف العدمي للمجموعات الجهادية الأجنبية المعروفة باسم «دولة العراق والشام الإسلامية». وفي هذا الإطار، قال لي فراس تميم، وهو سوري من مدينة اللاذقية السورية، يقوم حالياً بجلب الإمدادات الطبية وسلع أخرى إلى المنطقة: «لا أريدُ أن أقول إن الأسد أفضل، لكنه على الأقل لم يكن يعتقل أو يقتل الناس لأنهم يدخنون». تميم أراني صورة على هاتفه لمجموعة من القرويين وهم يشاهدون عملية قطع رأس «كافر» مفترض نفذتها «دولة العراق والشام الإسلامية». ثم قال: مع مرور الوقت سيصبح السوريون معتادين على ما كانوا يعتبرونه ذات يوم أمراً فظيعاً ومروعاً.

التقديرات تشير إلى أن «داعش» تضم ما قد يصل إلى ٨ آلاف جندي في سوريا. وهو عدد صغير إذا ما قورن مع قرابة الـ١٠٠ ألف مقاتل من الثوار. غير أن أيديولوجيا العصور الوسطى التي تتبناها المجموعة، إضافة إلى هوسها المرضي بفرض الأحكام الدينية، جعل منها مصدراً للرعب. ذات مساء، كنتُ جالساً في مقهى حيث كان رجل أشيب الشعر يدخن النرجيلة بنهم وينفث دخان التبغ عبر منخريه. إنه يدعو نفسه «أبو عبدول». وقد كان مقاتلاً في كتيبة تابعة للجيش السوري الحر، وهي قوات معتدلة مدعومة من الغرب. فتحدثنا عن الجهاديين، ثم قال: «إنه يطلب ألا تذكر اسم كتيبته». هكذا قال لي مترجمي. «فالجميع يخاف داعش».

عيد الشام يشتاق لحلوياته

مروان أبو خالد

تشهد أسواق الحلويات في سوريا قبيل عيد الأضحى ركوداً حاداً، وتراجعاً كبيراً لواحدة من أعرق الحرف الدمشقية التي ابتكرت عبر مسيرتها ما يقارب ٣٠٠ صنف. فبعدما وصلت الصادرات السورية من الحلويات في العام ٢٠١٠ إلى ثلاثة مليارات ليرة سورية حسب المكتب المركزي للإحصاء، وغزت الأسواق المتنوعة بما فيها الأسواق الأوروبية والأميركية، تراجعت خلال العامين الماضيين بشكل حاد حتى تكاد تنعدم الصادرات تماماً الآن. وذلك بعدما أدت الحرب التي أشعلها النظام لدمار في البنى التحتية، ولتراجع النشاط الاقتصادي بشكل كبير.

ويعود هذا الركود بشكل أساسي إلى زيادة تكاليف المواد الأولية التي تدخل في صناعة الحلويات، والتي أدت الى إرتفاع الأسعار وبالتالي تراجع الطلب. فبرغم انخفاض أسعار الدولار بشكل ملحوظ خلال الفترة الماضية، إلا أن ذلك لم ينعكس على أسعار المواد الأولية التي تتحكم بها مافيات التجار المرتبطين بالحكومة والذين كانوا يبررون دائما غلاء الأسعار بارتفاع سعر صرف الدولار. فسعر كيلو الصنوبر وصل الى حدود ١٤ ألفاً، وكيلو السميد وصل لـ١٥٠ ليرة بعدما كان ٤٥ ليرة، وكيلو السكر تراوح ما بين ١٠٠-١٢٠ ليرة، في حين وصل سعر كيلو السمنة العربية لعتبة ٢٠٠٠ ليرة، وبلغ سعر كيلو الفستق ٣٦٠٠ ليرة، بعدما كان سابقاً لا يتعدى ٧٠٠ ليرة، بالاضافة إلى إرتفاع تكاليف النقل والغاز وأجور العاملين.

هذا ما أدى إلى إرتفاع الأسعار بمعدلات تراوحت ما بين ٧٠ - ١٥٠٪ حسب اختلاف الأصناف ودرجة جودتها. مثلاً، وصل سعر كيلو العوامة والتي توصف بحلوى الفقراء إلى ٢٥٠ ليرة، بعدما كان ٧٥ ليرة، وسعر كيلو البرازق وصل لـ٩٠٠ ليرة بعدما كان سعره ٥٠٠ ليرة. هذا في حين تراوح سعر كيلو الحلويات الفاخرة كالمبرومة والبلورية وغيرها ما بين ٤٠٠٠-٥٠٠٠ ليرة. ومن المتوقع أن تشهد الأسعار خلال الأيام المقبلة ارتفاعاً أكبر تحضيراً لعيد الأضحى، قد يصل وفقاً لبعض المحللين الاقتصاديين، إلى ٢٠٪. الأمر الذي سينقل كاهل السوريين وسيحرم أطفالهم في هذا العام من تناول حلويات العيد، خصوصاً أن صناعتها في المنزل تكاد تكون مقتصرة اليوم على الأسر ذات الدخل الجيد، أو على الأسر الفقيرة التي تصنع الحلويات المنزلية ليس بقصد الاستهلاك المنزلي، بل ليقوم أطفالها ببيعها على الأرصفة خلال العيد.

وقد أدت هذه الزيادة في الأسعار، المترافقة مع صعوبة الأوضاع المعيشية، إلى تراجع معدلات الطلب خلال العام الحالي مقارنة مع العام الماضي بنسبة تراوحت ما بين ٥٥-٦٠٪. ويلاحظ أن نسبة انخفاض الطلب ترتفع إلى ٨٥٪ في أسواق دمشق القديمة والمناطق الأخرى التي كانت تعتمد بشكل رئيسي على بيع الحلويات للسياح الذين ينعدمون تماماً اليوم بسبب الظروف الأمنية التي تشهدها البلاد.

بحسب جمعية الحلويات والمرطبات والبوظة في دمشق فان ظروف الركود في سوق الحلويات أدت إلى انخفاض معدلات الربح لما دون ٢٥٪. وهذا ما دفع عملياً نحو إغلاق أعداد كبيرة من المحلات. وبرغم غياب الإحصاءات الدقيقة عن عدد المحال والورش التي أقفلت خلال العامين الماضيين، إلا أن تراجع استهلاك السكر في سوريا بمعدل قارب ٤٠٪ بين عامي ٢٠١١-٢٠١٣، يمكن اعتباره أحد المؤشرات المهمة على إغلاق محال الحلويات الأكثر استهلاكا لمادة السكر. وتشير الوقائع المتجمعة إلى هجرة أعداد كبيرة من "البفجاتية" وهو اللقب الذي يطلق في دمشق على محترفي صناعة الحلويات الشرقية لدول الجوار، خصوصا إلى الأردن، حيث شهد منتصف العام الحالي افتتاح فروع لبوظة بكداش وحلويات عائلة نفيسة الشهيرة في العاصمة الأردنية عمان. ووفقا لتقرير أعدته "أورينت نت" فإن سوق الحلويات في الأردن اليوم يكاد ينحصر بمنافسة سورية - سورية بين أعداد كبيرة من المحال التي افتتحت هناك بسبب ظروف الحرب داخل سورية.

قصارى القول أن حلويات الأضحى في دمشق ليست مجرد صنف يمكن الاستغناء عنه، وهذا ما تدل عليه الدراسات الاقتصادية التي تشير إلى أن متوسط استهلاك الأسرة السورية للحلويات في العيد يبلغ حوالي ٦ كيلوغرامات. فمائدة الحلويات تشكل طقسا اجتماعيا متوارثا في العيد. سيفتقده السوريون دون شك كما افتقدوا خلال الحرب أبسط مقومات الحياة الانسانية. ذاك أن ميزانية حلويات العيد تبدو اليوم أشبه بفاجعة لا تستطيع أغلب الشرائح الاجتماعية تحملها، لاسيما أن الأسعار السائدة تجعل من الحصول على كمية الحلويات المعتادة تعادل تقريبا أكثر من ضعف الراتب الشهري لموظف متوسط الحال.

تتمة: الثورة السورية: هل تنزلق نحو التشدد؟

جيمس تروب

ويمكن القول إن الأسد تلقى هديتين كبيرتين خلال الأشهر الأخيرة؛ الأولى هي الاتفاق الذي رعته روسيا حول إزالة الأسلحة الكيماوية، والذي صرف الانتباه عما يقوم به من أعمال إبادة، وأرغم الحكومات الغربية على العمل معه كحاكم شرعي للبلاد. أما الهدية الثانية، فهي «دولة العراق والشام الإسلامية»، التي صرفت الانتباه أيضاً عن الحرب المستعرة بين النظام والثوار وأيدت ادعاء الأسد المتواصل بأنه لا يواجه خصوماً سياسيين، وإنما «إرهابيين».

ولهذا السبب، أصبحت هناك قناعة راسخة في أنطاكيا بأن «داعش» هي بمثابة سلاح سري للنظام. وقد يبدو هذا مثل نظرية مؤامرة يمكن تفهمها، إلا أنه حتى بعض الدبلوماسيين الغربيين الذين تحدثت إليهم يعتبرون ذلك محتملاً، وإن بدون إثباتات كافية. ففي سبتمبر ٢٠١٢، أفرج الأسد عن بعض الجهاديين الذين كانوا يقاتلون مع «القاعدة» في العراق، ويُعتقد أنهم ساعدوا في تأسيس «داعش». كما يشير صحفيون ونشطاء ومقاتلون إلى أنه بينما قامت مدفعية النظام بضرب مقر الجيش السوري الحر في حلب وتدميره، فإن معسكر «داعش» المجاور لم يلحقه أي أذى. والأمر نفسه تكرر في مدينة الرقة الواقعة شرق البلاد والتي كانت ساحة لقتال شرس. وعلاوة على ذلك، فإن «داعش» لم تقم بشيء تقريباً في سبيل تحرير المناطق الخاضعة لسيطرة النظام. وبالمقابل، انتزعت السيطرة على كل من الرقة وبلدة أعزاز الحدودية من قوات الجيش السوري الحر.

وقد يكون كل ذلك مجرد نظرية مؤامرة أخرى، مثلما يرى آرون زيلين، المحلل المختص في سوريا، والذي يتابع الديناميكية بين مجموعات الثوار عن كثب، والذي يرفض هذه الفكرة باعتبارها «تحقيقاً لرغبة من جهة، ووهماً من جهة ثانية». غير أنه لاشك في التأثير القوي للفهم المتشدد للإسلام الذي تتبناه هذه المجموعة. فقد تحدثت إلى مجموعة من المقاتلين الجرحى الذين يتلقون العلاج في مصحة ببلدة ريهانلي التركية، والتي تبعد بضعة أميال عن الحدود مع سوريا. وكان أحدهم، ويسمي نفسه «أبوعباس»، قد ذهب إلى جامعة «البعث» في حمص مع مترجمين وكان يسعى للحصول على درجة الماجستير في الأدب الإنجليزي. وقد دافع أبو عباس عن «داعش»، قائلاً إن المجموعة تقاتل المعتدلين لأنهم دمى في أيدي أميركا. والحل الوحيد بالنسبة لسوريا، كما يقول، هو حكم الشريعة.

والواقع أن «أسلمة» الثوار المتزايدة لها علاقة بـ«داعش»، غير أن لها علاقة أكبر بشعور الثوار المتزايد بالمرارة جراء التخلي عنهم من قبل الغرب ومنظمات المعارضة السورية في المنفى، والمنشغلة بالشجارات مع بعضها البعض في الأجواء المريحة للفنادق التركية أو المصرية. ولذلك، فإن الإسلاميين وليس «داعش» فقط، يقولون: «ليس لنا سوى الله»؛ والشباب مثل «أبوعباس» ليس لديهم سبب قوي ليكون لديهم رأي مختلف.

باختصار، إن صعود «داعش» من المحتمل أن يزداد، لا أن يتراجع؛ حيث سيواصل المتطرفون الأجانب التقاطر على سوريا، كما سيواصل الأسد استغلال التركيز على الأسلحة الكيماوية لارتكاب فظاعات ضد المدنيين السوريين. هذا بينما سيواصل الثوار التعرض لخسائر وإلحاق خسائر بالنظام. وسيزيد السيل المتواصل للاجئين من زعزعة استقرار لبنان والأردن.

واللافت أن أوباما لم يحاول المحاججة بأن المصلحة الوطنية لأميركا تقتضي تجنب مثل هذه الوضع الخطير من خلال الوسائل العسكرية والدبلوماسية معاً. لكن الأوان ربما يكون قد فات الآن!

"رد فعل" فني في اليرموك

متولي أبو ناصر

ما زال مخيم اليرموك محاصراً من قبل النظام في دمشق. إلا أن ذلك لا يمنعه من الإبداع، خصوصاً أن شبابه يفتشون عن منفذ فني للكارثة التي يعيشونها يومياً. وفي هذا الإطار، اجتمع ثلاثة شباب، صهيب أبو شهاب وحسن طنجي وسليم مهنا، لتأسيس "التجمع الفلسطيني للإبداع، رد فعل"، بهدف "إلقاء الضوء على الحياة اليومية في اليرموك، الذي يجمع خليطاً سكانياً من فلسطينيين وسوريين ومنفيين إليه من جنسيات مختلفة"، حسبما قال أحد مؤسسي التجمع، المخرج حسن طنجي.

إستقطب التجمع مجموعة من أصحاب التجارب والخبرات في صناعة الأفلام القصيرة والوثائقية، إضافة إلى أن العديد من أعضاء التجمع كانت لهم تجربة في مجال التصوير. وهذا ما أدى إلى تحول "رد فعل" إلى مختبر مفتوح أمام الشباب الذين يطمحون إلى مشاركة طموحاتهم ومشاريعهم الفنية. أما التجربة الأساسية للتجمع، فهي إنتاج مسلسل "على هوى الحكي"، الذي يتناول واقع المجتمع اليرموكي بأسلوب كوميدي، يسخر من العادات والتقاليد في المخيم.

أولى حلقات هذا المسلسل، كانت بعنوان "تغطية"، وهي تسلط الضوء على وضع أبناء المخيم في ظل انقطاع جميع وسائل الاتصال داخله. ويظهر الممثل حسان حسان في بداية الفيلم، راكضاً بأقصى سرعة ليصل إلى المكان الوحيد في اليرموك، الذي لم تنقطع الشبكة الخلوية فيه. غير أن هذا المكان الواقع إلى جانب "جامع الوسيم"، هو في مرمى قناص الأمن السوري. فكي لا يُقنص، يسرع حسان في الكلام مع واحد من الأصدقاء النازحين خارج المخيم، فيتبادلان الحديث عن "الشلة" التي تفرقت وتشتت. وعند سؤال حسان عن "أحمد كوسى"، ينسى الممثل خوفه من القناص، ومن صوت القذائف، فيجلس بقرب عامود الكهرباء، لكن صديقه يستمر في سؤاله عن أحمد. في هذه اللحظة، ينتهي الفيلم، الذي نكتشف أنه إهداء إلى روح الشهيد أحمد كوسى.

ومن أبرز حلقات المسلسلات، تلك التي حملت عنوان "على هوى الحصار"، إذ ينتقد فيها التجمع موقف اليسار الفلسطيني من الأحداث في سوريا، لا سيما القادة الكبار في الثورة الفلسطينية. هؤلاء، الذين كانوا يرددون مقولة إسقاط الأنظمة العربية الإستبدادية كبداية لتحرير فلسطين، لكن عندما اندلعت الثورات، وقفوا إلى جانب الأنظمة وضد الشعوب.

وفي إحدى الحلقات، نرى الممثل حسان حسان يتحدث عن الحصار المفروض على المخيم، وعن استغراب الناس حيال الصمت الذي تمارسه القيادة الفلسطينية. فجأة، تغيب صورة حسان، ليحل مكانها لقاء مصور مع ليلى خالد، عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية. فتقول الأخيرة، "الموجودون في مخيم اليرموك كلهم مقاتلون أفغان، المقاتلون في المخيم كلهم أفغان". عندها، يعود حسان إلى المشهد، وكأنه شخصيتين. الأولى، ترتدي ثيابا شبابية عادية، والثانية، ترتدي ثياب المجاهدين الأفغان، كإشارة ساخرة من كلام خالد، وغيرها من ممثلي السلطة الفلسطينية.

لاقت تجربة "رد فعل" صدى إيجابياً لدى الناس، وانتشرت حلقاتها في مواقع التواصل الاجتماعي. وفي هذا الإطار، يقول الممثل حسان حسان لـ"المدن"، إن "الأفلام وصلت إلى الناس من دون أن تعرض على الفضائيات، فالمشاهدون يبحثون عنّا في يوتيوب". ويُضاف إلى ذلك، أن التجمع حرص على علاقته مع المجتمع اليرموكي، إذ قام بتغطية كل النشاطات الإبداعية والمبادرات الإجتماعية التي تحصل داخله. وذلك، من خلال الريبورتاجات والمقابلات المصورة. كما أنتج "رد فعل" أفلاماً قصيرة عديدة بعنوان "ميديا camp"، تتحدث فيها عن أهمية المخيمات بالنسبة إلى الفلسطينيين، وارتباط فكرة المخيم بحق العودة. فما هدم المخيمات وتدميرها وتشريد أهلها، سوى تدمير لمطلب حق العودة.

وفي الوقت الحالي، يسعى أعضاء التجمع، الذين هاجروا إلى بلدان مختلفة، على مسلسل في "يوتيوب" شبيه بـ"على هوى الحكي"، يحمل عنوان "مسافات". ويعكس المسلسل الجديد واقع الشباب المهاجرين، وحنينهم الدائم إلى شوارع المخيم وأزقته. إذ، بأدواته البسيطة، خلق تجمع "رد فعل" مساحة إبداعية داخل اليرموك، الأمر، الذي يتحدى الحصار المفروض على المخيم من قبل النظام السوري.

خواطر سورية ٨

حمص عاصمة «كردستان سوريا»

ـــــ ريزان حدو

في ظل هجمة إعلامية غير بريئة والعمل على تسويق أن الكرد يسعون إلى تقسيم سوريا، وأنه لولا الكرد لكانت سوريا بخير!

اسمحوا لي أن أعرض وجهة نظر أزعم أن قسما كبيرا من الشباب الكردي السوري يتبنونها.

أولا، إن الادعاء بأن الكرد سينفصلون عن سوريا ويشكلون دولة خاصة بهم هو قول خيالي ومن المستحيل تطبيقه على أرض الواقع فلا جغرافية المنطقة ولا التوزع الديمغرافي للكرد يساعد على إقامة دولة لكرد سوريا بمعزل عن كرد تركية والعراق وإيران.

ثانيا ، نحن ككرد سوريا لاتوجد لدينا النية والطموح للانفصال عن سوريا إلا باحتمالين:

الاحتمال الأول، أن يصر شركاؤنا في الوطن السوري على إلغاء وجودنا من سوريا.

ولكي نعالج هذه الإشكالية فلنتخيل معا هذا المشهد:

عربي سوري صاحب قرار يخاطب شقيقه الكردي السوري، «نحن لن نسمح لكم أيها الكرد بالانفصال عن سوريا».

ليس لأننا شوفينيون وعنصريون، وليس لأننا مستعدون أن نعترف بحقوق شعوب الواق واق ولكن عندما يتعلق الأمر بحقوق الشعب الكردي ندوس على مبادئنا وشعاراتنا والحرية والديمقراطية والأمم المتحدة وحقوق الإنسان.

وليس لأننا نؤمن بالله وبالرسول وبالقرآن ولكننا نكفر بالآية الكريمة «وجعلناكم شعوبا وقبائل إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

وليس لأن ينظرنا كل كردي هو عميل وخائن حتى يثبت العكس.

لا لا لا...نحن لن نسمح لكم بالانفصال عن سوريا لأننا نحبكم، ولأن سوريا بلا كرد هي أي شيء آخر إلا سوريا.

ولأننا نريد أن نعوضكم عن الظلم المضاعف الذي لحق بكم فيما مضى، ولأننا نريد أن نشعل معا شعلة النصر والحرية في «النوروز» ونرقص على أنغام طنبور شفان وعود سميح شقير.

أعطونا خمس سنوات في سوريا المستقبل لكي نعبر لكم عن حبنا وبعدها ستحترم قراركم مهما كان، ولكني واثق كل الثقة أنكم لن تتركونا

الإحتمال الثاني:

هذا الشرط سأضيفه أنا شخصيا إن أصبحت يوما ما صاحب قرار، سننفصل عن سوريا ونعلن دولة «كردستان سوريا» شرط أن تعطونا حمص لتكون عاصمة كردستان

حمص بكل ما فيها من كفرعايا وبابا عمرو والانشاءات وكرم الشامي وكرم الزيتون والخالدية والحميدية وجورة الشياح والقصور وباب السباع وباب هود وباب الدريب وبستان الديوان والريحية وعكرمة ووادي الذهب والبياضة والميدان والغوطة والدبلان والملعب ونادي الكرامة بالمعتزلين والحاليين من أبوشاكر وأبو الريم والبيرقدار والبلحوس والعجم والمندو والغرير واللوز والشاهين والخطيب والحسين وحتى زيكو الكرامة.

لأنني أنا الكردي السوري لا أستطيع أن أعيش بلا حمص وبلا كرامة

«فأنا حر ومذهب كل حر مذهبي .....ما كنت بالغاوي ولا بالمتعصب».

نقتل الخوف وأشياء أخرى

ـــــ حكمت الحبال

حتى وقت غير بعيد، كنت أتخيل رأسي يتدحرج أمامي أو فأسا تنغرس في جسدي عقابا على ذنب اقترفته. ذنب يتلخص في سرقتي، كمطفلة، لقطات من أفلام رعب ممنوعة!

في ليال متأخرة، كنت أتلصص على أفلام رعب أجنبية، تغريني، بينها تحديداً فيلم فرنسي يتحدث عن طرق الإعدام بالمقصلة.

سرقات الماضي، ترعبني حتى اليوم، ولفظ الاسم وحده يسبب لي رهاباً.

الليلة تحديداً، تفجرت كل مخاوفي في كابوس طويل ينفصل فيه رأسي عن جسدي. نهضت وأنا أتلمس خط رقبتي، وقلادتي، لأتأكد من وجودهما. أكتب وأنا أستعيد صور الحرب التي لا تنتهي. حرب اعتاد فيها الناس على الموت، وعلى الذكريات المحترقة، حرب حولتهم إلى حوش بأجساد بشرية.

أستعيد صور الإعدام الميداني التي تفجرت فجأة على صفحات الإعلام الغربي. أستعيد تحديداً صورة الرجل ذي الرأس الأصلع المنفصل عن جسد هامد مكبل اليدين! ما أثبت الشوك من تحت مسامي ليس المشهد المرعب فحسب، بل الأطفال في خلفيته، متراصين بعضهم إلى جانب بعض على حافة الرصيف، يبددون خوفهم بتلمس ما استطاعوا من جسدهم. يتأملون المشهد حقيقة واقعة أمامهم. عيونهم كانت أحجاراً صغيرة منغرسة في وجوههم، لا تحوي أي لمعة بريئة.

ليست الجريمة الأولى التي يشهدها أطفال سوريا. الجرائم التي تقع كل يوم تأكلهم قبل أن تأكل غيرهم. كيف لأطفال عاشوا كل هذا، أن يكبروا ويكملوا حياتهم؟

كيف سيتخطى هؤلاء الذكريات المهدمة، وبقايا الحكايات وما عاشوه من قلب المعارك؟

من منا سيعيش بعد كل هذا الموت، حيث الحياة بأبشع أشكالها؟

من منا سيقتل ذلك الخوف في قلبه؟ في الحرب، وبعد الحرب.. وبعد بعد الحرب؟ وماذا سنقتل مع الخوف؟ وماذا سيبقى منا، إن بقينا؟

أستعيد المقصلة، وفي الوقت عينه أربط أفكاري بتلك الرمانة المعلقة.. أملي الوحيد أن تنضج على مهل، على مهل.

للجرح السوري.. وردة

غازي دحمان

مخجلة هي ردود الفعل التي يعيشها العالم فرحا بتسوية تبدو أقرب إلى مؤامرة، ووقحة إلى حد الصلف، فبين تهليل الرئيس الأميركي باراك أوباما أن إدارته انتصرت انتصارا باهرا، وأفراح بشار الأسد، وحلفائه المانعين، بأنهم غيروا موازين قوى العالم، وصعّدوا روسيا قوة دولية كبرى، استمر دم السوريين يشل غزيرا. وقد أوحى هذا المشهد بأن كل الملوثة أيديهم بدم الشعب السوري، وأولئك الذين أتاحوا للمشهد أن يكتمل، قد انتصروا، ووحدها العدالة الإنسانية خسرت.

لم يكن أحد يعلم أن موت السوريين سيوزع تلك المساحة الهائلة من الانتصارات. وحده العالم المعاصر، بتراجع أخلاقه وتهافت منظومته القيمية، يستطيع أن يصنع من بساط دم السوريين سجادة يمشي عليها القادة المنتصرون، ويستطيع أن يرى في استمرار مشهد الموت ممكنات تغيير نحو الخلاص، كلهم انتصروا على الجرح السوري وهزموا الإنسانية على عتبات غوطة دمشق وراحوا يطالبون بنوبل للسلام تثبيتا لانتصار البربرية على الإنسانية!

وحدهما، الضمير والعدالة، في هذه المأساة، وقفا فاغران فمهما دهشة، فكيف يجري لي عنق القوانين لكي تشارك في سياق الظلم الهزلي؟ ومن أجل ماذا تضع العدالة عصبة على عينيها إفساحا لمرور موكب الغدر؟ وهل ما زال لدى الضمير الإنساني مساحات واسعة من الخراب تستوعب نفايات الارتكابات بحق البشر السوريين؟

ولعل المفارقة الأكثر سطوعاً في هذا المشهد الملوث بالمفارقات أن يبدو الرئيس السوري بارعا في صناعة أدوار للدول على حساب موت جمهوريته، إذ ينقل عنه حلفاؤه اللبنانيون أنه يشعر بالفخر والنشوة لأن روسيا حققت تقدما ملحوظا في تراتبية القوة الدولية، وأن إيران، التي سلمها مفاتيح مصير الدولة السورية، تستطيع أن تفاوض العالم اليوم من موقع قوة، فيما حزب الله الموغل بالدم السوري والمرتكب جرائم حرب حسب منظمات حقوقية دولية، بحق المستضعفين السوريين، بات حسب رؤية الرئيس المؤتمن على الدم السوري قلعة مقاومة!

كل المؤشرات تدل على أن المحتفلين على ضفة نهر الدم السوري تعجلوا بإعلان أفراحهم، ضللتهم لعبة المكاسب الإستراتيجية التي أوهموا أنفسهم ببلوغها، اعتقدوا أن اللعبة انتهت عند هذا الحد، وظهر أخيرا أن الخطوط الحمر لم تكن سوى خطوط وهمية افتراضية تضع الحدود بين المكاسب والخسائر، وأغرتهم حكاية أن يفوزوا ماديا ومعنويا من دون أن يدفعوا الأثمان. الغالب أنهم كانوا ضحية تقديرات خاطئة عن الحقل الذي طابت كرومه، فالحقل السوري لم يزل عجرا، رغم استخدام كل أنواع المبيدات، لم تنضجه النار بعد لصالح الأسد وحلفائه.

العقل الإستراتيجي العالمي مصاب بالعمى، وقلة الطموح ونفاذ الصبر. هو كذلك حين يبني معطياته على زبد الحالة السورية دون معرفة أسرارها. فليس ضعف الائتلاف المعارض ولا إستطالات بعض الكتائب المقاتلة قادرة على تلخيص الموقف الثوري السوري. كما أن رجلهم، الذي عهدوا له إنجاح ليلتهم الكبيرة، لم يعد حتى مختارا لحي المهاجرين. طالما لا يملك مكتبا يدير فيه الحي، والثورة تطبق على صدره من درعا والقلمون والغوطتين، سيكتشفون أن أبصارهم ضللتهم، فما رأوه في السبق، وراهنوا عليه، كان حمارا أعرج مزركش، يخرج من سجادة فارسية متهرئة، ورسن مقطع من وبر دب.

سيكتشفون ذلك قريباً، سيكتشفون أن الثورة وحاملها الاجتماعي مازالت لديهما القدرة على إستيلاد مشاهد جديدة مدهشة، وأنهم سيضطرون مرغمين إلى الاعتراف بخطأ تقديراتهم ويؤس أفراحهم. وإلى حينه، سيكتشف السوريون، أن جروحهم باتت تستحق أن تضمد بأوراق الورد، وتقدم هدايا معطرة في المناسبات المهمة، طالما هي تنطوي على سر السعادة. فطوبى لكم يا أطفال سوريا المخنوقين.. كم أسعدتم العالم. وطوبى لكم يا شهداءها، فالعالم الكئيب المأزوم اقتصاديا وقيميا، والمهزوم أخلاقيا، استعاد أخيرا مناخات الفرح.

أريد صورة لكم.. أريد ابتسامة من سوريا

ميرفت أحمد

كيف هم اليوم؟ كيف هي وجوههم؟ ماذا فعلوا؟ ماذا أكلوا؟ صورة واحدة أريدها لهم.

أريد صورة واحدة لأهلي في الحسكة، وأريدها أن تصل واضحة.

شرطي الوحيد أن تكون قد التقطت في غرفة مضيئة، إن توفرت الكهرباء، كي لا أبحث عن وجوههم في الظلمة.

بسعادة أو من دونها، بابتسامة أو من دونها، المهم أن أعرف كيف صارت أشكالهم.

ترى هل صار شعر أمي أبيض؟ وهل ما زال أبي يدخن "الحمراء" الطويلة؟

هل أنهكهم الصيف بحرارته القاسية؟ وهل يعدهم الشتاء الآن ببرد أقسى؟

اشتقت لهم. اشتقت للمنزل. اشتقت لأرضيته الباردة.

صور الطفولة البعيدة تقفز في ذاكرتي عندما كنت أمشي حافية في حديقة المنزل في فصل الصيف، فتحترق أصابع قدمي، وأقف فجأة في وسط الحديقة وأنا أتقافز قبل اتخاذ قرار سريع بالهرب إلى الداخل.

والآن يتقدم الشتاء بسرعة بينما تتأخر الكهرباء كثيرا، ويتأخر الوقود والانترنت والأمان والفرح.

ستمسك أمي بلحافها الصوفي السميك وتلف جسدها كله لتبقى عيناها فقط تراقب ما حولها بأسى، وهي تنتظر سماع صوت جريان الماء في الخزان لتنظف ما تراكم من صحون وثياب منذ أيام وأسابيع. أو أنها ستضطر إلى حمل دلائها في أرقى

أحياء المدينة لتحصل على بعض الماء من بئر الجيران الذي حفروه في منتصف الشارع الاسفلتي العريض.

من أجل تلك الصورة التي لم تصل، أحمل هاتفي الخلوي معي في كل مكان، حتى أثناء إعداد الطعام . أتفقد شاشته الصغيرة بين الحين والآخر لأبحث عن أخر ظهور لأخوتي على "الواتس آب" كي أعلم إن وصل دواء السكري لأبي، والذي أرسلته لهم مع الحج سراج قبل شهر، أم لا.

ما زلت أحاول الاتصال بتلك الشبكة اللعينة التي لا تلتقط أصواتنا، لأعلم ماذا تطبخ أمي كل يوم. وكيف استعاضت عن "صوابي" الدجاج بالفرن والبطاطا المحمرة المحشوة باللحم، بأنواع أخرى من الطعام التي لا تحتاج إلى أفران الكهرباء.

الشبكة مشغولة دائما. مالذي يشغلها يا ترى؟ هل يشغلها أخي الذي يعيش قصة حبه الأول من دون أن يجرؤ على التفكير في الزواج؟ لأن الزواج فرح والفرح الآن ليس لديه تصريح بالدخول إلى سوريا.

ربما ما زال هذا الفرح واقفا عند الحاجز الأول، وقد لا يصل قبل أن يصبح شعر أمي أبيض بالكامل. وربما إلى أن يهرم أخي وهو يحدث حبيبته عن الأوضاع السيئة التي تمنعه من الزواج بها. أو عندما يبدأ أخي المحامي بحفر بئر في غرفة الاستقبال للحصول على الماء.

وربما عندما يترك أبي تدخين الحمراء الطويلة . ليس لأنه يعاني من أمراض مزمنة في الشرايين منذ سنين طويلة، بل لأن السجائر أصبحت غالية وثقيلة على جيوبه الصغيرة.

حكاية المؤامرة ضد سوريا

باراك باربي وبروجيكت سنديكيت

ترجمة : قسم الترجمة في مركز الشرق العربي

عندما زار الرئيس ريتشارد نيكسون سوريا عام ١٩٧٤، اصطف السوريون في شوارع دمشق لتحيته.ومع هذا، لم يكن الجميع مسرورون بزيارته. وهنا سأل طفل في الثامنة من عمره والده، "أليس نيكسون هو ذاته الذي كنت تخبرنا أنه رجل شرير يسيطر عليه الصهاينة وأصدؤنا. كيف يمكن أن ترحب به وتصافحه؟".

اليوم هذا الطفل هو رئيس سوريا.

في حين أن الولايات المتحدة تركز حاليا على تدمير ترسانة سوريا من الأسلحة الكيماوية، إلا أن هدفها بعيد المدى هو إزالة بشار الأسد من الحكم. القيام بذلك، بحاجة إلى فهم حالة "رهاب الأجانب" التي تسود في سوريا. على أمريكا أن تركز جهودها على توحيد المتمردين المتخاصمين في الجيش السوري الحر وإيجاد القائد الكاريزمي الذي يستطيع قيادة المسيرة لإسقاط الأسد. هذه الطريقة فقط هي التي يمكن لها أن تقنع السوريين أن الحملة التي تجري لتدمير الأسلحة الكيماوية التي تملكها بلادهم لا تهدف إلى فرض نظام استعماري جديد. ولكنها على النقيض من ذلك تسعى إلى حمايتهم من نظام يعيث في الأرض فسادا.

التلقين في سوريا يبدأ في سن مبكرة. فمنذ أول يوم في المدرسة، يتعلم السوريون أن أمريكا وحليفتها، إسرائيل، هم ألد الأعداء وهم يريدون الإبقاء على سوريا ضعيفة. وفقا لعقيدة حزب البعث الحاكم، فإن سوريا مستهدفة لأنها لن تستسلم وسوف تبقى على مواقفها الداعمة للعرب والقضية الفلسطينية. وأنها خط الدفاع الأخير الذي يمنع تعدي الولايات المتحدة وإسرائيل على الحقوق العربية.

عندما أعلن الأسد في خطابه الأخير أن " القوى الغربية أرسلت إرهابيي القاعدة لتحويل سوريا إلى أرض للجهاد... من أجل إضعاف سوريا". شعر الغربيون بحالة ذهول قوية. ولكن مثل هذا الكلام يجد آذانا صاغية لدى السوريين، الذين تعلموا على رؤية مؤامرة خارجية خلف كل حركة.

إنها لعبة يمارسها النظام عندما يصبح ظهره للحائط. عندما فشلت جهود ووعود الحكومة بالإصلاح في قمع حركة التمرد الإسلامية عام ١٩٨٠، فإن الحكومة حولت الأمور وصورت معارضيها على أنهم ثمرة لمؤامرة عراقية أردنية. وبعد اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري عام ٢٠٠٥ ووجه المجتمع الدولي أصبع الاتهام إلى سوريا على أنها المجرم الحقيقي، عرقل الأسد تحقيقات المحكمة الدولية وعمل على إسكات صوت الانتقادات الداخلية عن طريق استحضار قصة الفيلان الأجنبية التي أتت لإضعاف البلاد. الولايات المتحدة، التي كانت تأمل في استخدام هذه الحالة للضغط على الأسد، أجبرت على تليين موقفها، وفي النهاية تقديم غصن الزيتون له.

أقوى أنواع التلقين يمكن أن تجدها في الجيش. منذ أن استولى حزب البعث على السلطة عام ١٩٦٣، سعى إلى إنشاء جيش عقائدي يعكس قيمه القومية العربية. الخط الفاصل بين الجيش والحزب كان ضبابيا دائما. الضباط السوريون عادة ما يكونون أعضاء في القيادة العليا لحزب البعث. أحد الكتب التي كانت تستخدم في الدائرة السياسية التابعة للجيش، والذي وجدته في مدرسة المشاة في حلب بعد سقوطه في يد المتمردين، يظهر كيف يربي النظام ضباطه.

التحضير السياسي والنفسي للضباط المرشحين يدرج أعداء سوريا ابتداء من الإخوان المسلمين و"اليمين العربي" إلى "الصهاينة". كما أنه يشرح كيف أن "الإمبرياليين" و " الصهاينة" تواطأوا تاريخيا للحيلولة دون تحقيق العرب لوحدتهم وتكاملهم الاقتصادي. وتنتهي فصول الكتاب ببيان الدور الذي لعبه حزب البعث في إحباط مثل هذه المؤامرات.

إنها الحكاية التي يعرفها السوريون حق المعرفة. منذ فترة الأربعينات إلى الستينات، كانت سوريا تشكل ساحة للقوى المجاورة. مصر و العراق والأردن والسعودية جميعهم تنافسوا على سحب البلاد لتسير في مدارهم. كما عملوا على إبقاء سوريا ضعيفة ومنقسمة. ولكن حافظ الأسد والد بشار، أنهى تدخلاتهم وحول هذه القوة الإقليمية الراكدة إلى قوة شرق أوسطية.

الحرب الأهلية التي بدأت عام ٢٠١١ فتحت فصلا جديدا في الصراع. جيران سوريا يصبون الأموال والأسلحة مرة أخرى إلى البلاد من أجل إسقاط النظام. مما مكن الأسد من استدعاء الثار الأجنبي الذي جاء للتآمر على تدمير آخر نظام ثوري عربي مرة أخرى. وبينما تحظى رواية الأسد بشيء من الجاذبية، فإنها تعطيه قوة دعم مجتمعية لا بأس فيها. لهذا السبب، فإن التدخل العسكري الغربي لن يؤدي إلى سقوط فوري لنظام الأسد.

ليبيا بدورها شهدت مثل هذا التحول. في مسقط رأس العقيد معمر القذافي، سرت، أخبرني السكان أنهم أوقفوا القتال مع المتمردين وانضموا إلى قوات القذافي عندما تدخل الناتو في ثورتهم.

إبعاد الشعب السوري عن النظام سوف يكون بحاجة إلى أكثر من تدمير أسلحة البلاد الكيماوية والتهديد بحملة قصف غربية. على واشنطن أن تجد قائدا عسكري سوريا معروفا بمواقفه الجيدة تجاه العرب ليتولى مسئولية قيادة الجيش السوري الحر وتحويله إلى قوة قتالية متماسكة بوجود سلسلة قيادة قوية. دون جورج واشنطن محلي، فإن الحكومة سوف تستمر في تصوير خصومها على أنهم متآمرون ضد سوريا لتفانيها تجاه القضايا العربية. ولا يمكن لأي تهديد مهما كان حجمه أن يغير من ذلك

«القاعدة» يقوّض الأزمة السورية

لوك ماتيو

كيف نتجنب الاصطدام بأهالي المناطق التي دخلنا اليها؟ ما هي العلاقات التي يجب ان نقيمها مع المجموعات المسلحة الأخرى؟ هذا النوع من الأسئلة لا يطرحه تنظيم «القاعدة» في المغرب الاسلامي»، الناشط في قلب أفريقيا. إلا ان المجموعات الجهادية النظيرة له، التابعة لـ«القاعدة» والعاملة في الأراضي السورية، تجد نفسها مضطرة للإجابة عليها.

في سوريا اليوم، هناك تنظيمان أساسيان مرتبطان مباشرة بـ«القاعدة»، «جبهة النصرة» أولا، التي ظهرت في كانون الثاني ٢٠١٢، والتي تميزت بعملياتها الانتحارية عن طريق السيارات المفخخة. وهي تتشكل من سوريين وغير سوريين قاتلوا في العراق مع «القاعدة». وقد فرضت «الجبهة» نفسها بسرعة على الأرض كواحدة من أكثر المجموعات المسلحة فعالية في الشمال السوري. نجاحات «الجبهة» العسكرية، وكذلك تمويلها القادم من الخليج، جذبا شيئاً فشيئاً أنظار من «الجيش السوري الحر»، الأقل تطرفاً في الأصل، والمتذمرين من عدم تلقي رواتبهم. ومن الاضطرار، عند كل معركة، الى إحصاء عدد الطلقات المتوفرة في ذخيرتهم.

إلا انه إبتداء من نيسان ٢٠١٢، حصل إنشقاق داخل «الجبهة»، فأبو بكر البغدادي، رئيس «الدولة الاسلامية في العراق»، وهي الفرع العراقي لتنظيم «القاعدة»، أبو بكر هذا، أعلن حينها دمج «الجبهة» داخل «الدولة الاسلامية»... التي أعاد تسميتها بـ«الدولة الاسلامية في العراق والشام» («داعش»). لم يكن هذا الدمج مفاجئا. فالمجموعتان تتقاسمان الأيديولوجيا نفسها. وهما ترميان الى أكثر من إسقاط بشار الأسد، الى إقامة دولة الخلافة الاسلامية التي تضم سوريا والعراق. إلا أن أبو محمد الجولاني، قائد «جبهة النصرة»، رفض هذا الاندماج، من دون أن يسحب ولاءه لأيمن الظواهري، قائد تنظيم «القاعدة»، والمتخفي على الأرجح في باكستان.

داخل الثورة السورية، المنقسمة أطرافها على نفسها أصلاً، فان دمج المجموعتين، والإعلان عن الولاء لـ«القاعدة»، يثيران القلق. سلفيو «أحرار الشام» يدينونها علانية، مع انهم بعيدون كل البعد عن الاعتدال. فهم يرون فيه خطر دخول سوريا في صراع إقليمي.

على الأرض، المقاتلون يختارون معسكرهم. الغرباء غير السوريين والأكثر تطرفاً ينضمون الى «داعش»، فيما الآخرون يبقون مع «جبهة النصرة». العلاقة بين «النصرة» و«داعش» معقدة. فإذا كانت المجموعتان قادرتان على التعاون، إلا إنهما لا تلتقيان على خطوط القتال ذاتها.

فأساليب «داعش» أكثر تطرفا ودموية من اساليب «النصرة». هم يذبحون علنا من يعتقدون انهم شبيحة. وهم يحاولون فرض قوانينهم على القرى والمدن التي يسيطرون عليها. يقول أبو حمدان، قائد كتيبة «شهداء عفراء»، وهي كتيبة تنشط في الشمال السوري، «المشكلة الأساسية لـ«داعش» انها تنظر الى نفسها وكأنها تجسيد لدولة جديدة. ولكن دولة بشار الأسد لم تسقط بعد! عندما يقيمون في مكان ما، يستولون على كل شيء، من المصانع الى المخابز؛ وهم يضعون أجانب غير سوريين في أكثر المواقع أهمية، من دون أن ينسقوا مع أحد. انهم يرتكبون خطأ كبيرا. فالسوريون لن يقبلوا أبدا حاكما شيشانيا أو عراقيا على بلداتهم أو محافظاتهم».

خلال الشهور الأخيرة، انطلقت تظاهرات في عدد من المدن ضد سيطرة «داعش»، خصوصاً في الرقة وإعزاز، وهذه الأخيرة تقع على الحدود مع تركيا. يقول أحمد الخاطري، الذي يقود كتيبة من سبع مئة رجل في محافظة «إدلب»، «أكثر ما يخيف «داعش» هو ان تتشكل ميليشيات هدفها الوحيد طردها من سوريا، تماما كما حصل في العراق».

تتمة في الصفحة ٨

النظام السوري:

إعطاء الأمل بيد... وقتله بمئات الأيدي

عارف حمزة

ظهر تخوّف الأنظمة العربيّة واضحاً، ومفهوماً، من فكرة قلب أنظمة الحكم فيها بالطرق السلميّة. فذلك يشكّل استخفافاً بها، وتقليلاً من شأنها. لذا، كانت تستدعي تغيير المعادلات على الأرض، من طرفها، كي تذهب الأمور نحو العنف. وهي الطريقة الأبديّة التي تكون ماهرة فيها الديكتاتوريّات العسكريّة ماهرة. كما في حادثة «موقعة الجمل» في مصر، أو تشويه معاني السلميّة على أنها عصيان لقوانين الدولة، وبأنّ من يقودها عبارة عن بلطجية، أو «جرذان» أو «حشرات»، أو خونة ممولون من الخارج. وهي توافرت في كل الحالات لحدّ الآن. وفي النهاية ذهبت الأنظمة إلى المواجهة العسكريّة التي فرضتها على الشعب؛ كما في النموذجين الليبي والسوري. وكان هذا التخوّف لأنّ الأنظمة الديكتاتوريّة تفاجأت بأنّ هناك مَن يستطيع تحديها ولو باعتصام في ساحة، ولو بهتاف أو أغنية، ولو بكلمة مفردة مثل «ارحل» أو جملة ركيكة مثل «الشعب يريد إسقاط النظام»... إذ طالما عملت هذه الأنظمة من خلال أجهزتها الأمنيّة المبتكرة، على صنع شعوب خانعة وفاسدة ولا تهتمّ إلا بلقمة العيش. فمن أين جاءتها هذه الجرأة بالوقوف في وجه من يهبها حياتها؟ إذ لطالما آمنت الأنظمة بأنّها هي مَن تهب الحياة والاستمرار لشعوبها، وليس العكس.

في النموذج السوري، تمّ محاصرة السلميّة بشتى الوسائل، حتى الوحشيّة منها، للقضاء عليها سريعاً؛ فمن التهديد بالطرد من الوظائف والجامعات، ثم بالطرد منها، إلى الاعتقال وانزال العقوبات الجسديّة المتنوّعة «للعودة إلى جادة الصواب»، وإلى الاعتداء الجسدي العلنيّ على عدد من المتظاهرين في الشوارع والساحات، لترويع بقيّة المتظاهرين، ثمّ إلى مرحلة الاعتداء على كل المتظاهرين. ثمّ اشتدّت المواجهة مع السلميين؛ فكان أخفّها تسهيل مغادرة البلاد، وأشدّها القتل تحت التعذيب والذبح بالسكاكين. فيمكن إجمال الطرق للتخلّص من المظاهر السلميّة، والمتظاهرين السلميين، بثلاثة طرق: الاعتقال والتهجير والقتل!

أما الاعتقال، ويرتبط به التهجير، فتواتر بشكل هائل إلى أن وصل إلى سنّ قانون خاص من أجله؛ وهو قانون مكافحة الإرهاب، بالقانون رقم /٢٢/ والذي صدر بتاريخ ٢٠١٢/٧/٢٦، وتشكيل محكمة الإرهاب كبديل سيئ الصيت من جديد بعد إلغاء محكمة أمن الدولة العليا، وهي اللعبة التي اعتادها النظام السوري منذ سنوات؛ بإعطاء الأمل بيد وقتله بمئات الأيدي. وهو القانون الذي وسّع نطاقه ليشمل المدنيين والعسكريين على حدّ سواء، من دون أن يتمّ تحديد الأفعال التي تشكّل جرائم في نظره، ولا تحديد العقوبات. وهو الذي يتألف من تسع مواد قانونيّة فقط، بل جعل الأمر برمّته يخضع لمزاجيّة الأجهزة الأمنيّة، وجعل قانون التظاهر، السيئ الصيت أيضاً، طيّ الأدراج، من دون إلغاء دستوريّ، وإلى الأبد. عشرات الآلاف صاروا تحت تهديد هذا التعسّف في معاقبتهم على حقّ مصان لهم بالدستور. فلم يعد المطلوب منهم النأي بأنفسهم عن التظاهرات أو أماكن الاعتصامات، بل النأي بأنفسهم عن كامل البلاد؛ لأنهم لم يعودوا متظاهرين مخالفين للقانون بعدم أخذ إذن للتظاهر، بل إرهابيين خونة. وقد بات من المعروف أنّ الاعتقال الثالث للمتظاهر سيودي بحياته حتماً، فكان عليه، بعد الإفراج عنه للمرة الثانية، أن يقرّر الخروج سريعاً، أو النجاة بمعنى أدق، من سوريا. ومن الملفت للنظر بأنه تمّ تسهيل خروج المئات إلى خارج البلاد، ومن المعابر الرسميّة، رغم أن أسماء الكثيرين منهم كانت على قوائم منع المغادرة!

الطريقة الأخيرة هي الاعتداء على المتظاهرين لدرجة التصفية الجسديّة. فقد ساهمت السلطات، من خلال مراسيم العفو الكثيرة والمتتالية إلى إطلاق سراح الآلاف من المجرمين العاديين، من دون أن تطال تلك المراسيم سوى العشرات فقط من معتقلي الرأي والتظاهرات، الذين زاد عددهم عن المائة ألف معتقل. وإطلاق يدهم في الاعتداء على المتظاهرين لإنهاء التظاهرات. وكانوا يتلقون التعليمات والأموال من الأجهزة الأمنيّة ورجال أعمال النظام، لكي يبدو الأمر أن الأهالي يعتدون على أولادهم كي يعيدوهم إلى «الوطنيّة» وحظيرة البيت. وبالتالي إلى حظيرة النظام.

وكانت مهمّة بعض هؤلاء المجرمين التغلغل بين المتظاهرين والناشطين، على أنهم ناشطون في الثورة، وتقديم تقارير بهم وبأماكن اجتماعاتهم وأماكن إقامتهم لرجال الأمن، الذين سرعان ما كانوا يُغيرون عليهم، ويسوقونهم إلى المعتقلات. في أماكن الاعتقال تلك تمّت التصفية الجسدية لمئات السلميين، وبخاصّة قادتهم؛ الذين كانوا الأكثر سلميّة بينهم.

ثمّ تطوّرت الأمور، كعرفان بالجميل، إلى تجنيد الكثيرين من أولئك المجرمين فيما يُعرف بالجيش الوطنيّ، أو المقنّعين، أو الملثّمين، وتمّ تخصيص رواتب شهريّة لهم، يقوم بدفع الجزء الكبير منها شيوخ العشائر الموالية، ورجال الأعمال المستفيدين من بقاء النظام، مع وعدهم بالوظائف المدنيّة الجيّدة، بغض النظر عن تحصيلهم العلميّ، بعد القضاء على «العصابات الإرهابيّة المسلحة»، والقضاء على الثورة.

كلّ تلك المآسي حدثت؛ لأنّ الأنظمة العسكريّة الديكتاتوريّة لا تؤمن بفكرة الحوار، الذي تدعو إليه جهاراً، ولا تضع وزناً لأيّ مواطن، سواء أعجبها أو لم يعجبها، بل تؤمن فقط باستمرارها إلى الأبد، والأفضل أن يكون ذلك الأبد مرفرفاً على نهر من الدماء المتدفقة، وليس على نهر من الأفكار المدنيّة والديموقراطيّة المتدفقة.

تتمة: «القاعدة» يقوّض الأزمة السورية

لوك ماتيو

قيادة «داعش» تبدو فعلاً متنبّهة الى السابقة العراقية، حيث تشكلت عام ٢٠٠٦ ميليشيات «الصحوة»، التي قاتلت تنظيم «القاعدة» العراقي في غرب العراق. وقد أصدرت «داعش» للمرة الأولى بياناً يتهم الإعلام بالكذب وبالتقليل من نجاحاتها وتضخيم مواجهاتها مع المجموعات المسلحة الأخرى، مع ان هذه الاشتباكات تكاثرت في الآونة الأخيرة، ففي الرقة ودير الزور (شرقا) وفي محافظة إدلب. جرت إشتباكات بين المجموعات الجهادية ومجموعات تابعة لـ«جيش السوري الحرّ»، وقد أسفرت عن مقتل خمسة عشر مقاتلاً، من بينهم أحد أمراء «داعش». أما في أعزاز، فان المواجهات انفجرت فيها في الثامن عشر من أيلول الماضي، عندما حاول الجهاديون خطف طبيب أجنبي يعمل في مستشفى مؤقت أقيم على عجل. بعد ذلك بأيام، أعلن عن هدنة، لم تحترم كما يجب. غير ان القلق من تجدّد هذه الاشتباكات دفع ست مجموعات مسلحة، من بينها سلفيي «أحرار الشام»، الى مطالبة قوات «داعش» بالانسحاب من المدينة.

في اليوم نفسه، في مدينة حمص، أمهل مسلحو المدينة قوات «داعش» ٢٤ ساعة لتنسحب منها. أما آخر إشارات القلق من «داعش»، فكان عدم استعدادها للانخراط في تحالف جديد للمعارضة، تشكّل في حلب في نهاية ايلول الماضي، فيما هو يضم في صفوفه أهم المجموعات القتالية في الشمال، بما فيها «جبهة النصرة».

هل سنشهد في الأيام المقبلة توسعاً للاحتجاجات ضد «داعش»، واشتداداً للقتال بينها وبين بقية المجموعات، إسلامية كانت أم غير إسلامية؟ في الفوضى السورية الراهنة، لا يوجد شيء مضمون. أما أبو حمدان، فيقول جواباً على السؤال، «من غير الوارد أن أقاتل «داعش». أكانوا جهاديين أو غير جهاديين، فهم الوحيدون الذي أتوا من بعيد لمساعدتنا. ان هدفنا الوحيد والأول يجب ان يبقى إسقاط بشار الأسد. بعد ذلك، نصفّي حساباتنا معهم».

لوك ماتيو- صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية (٧ تشرين الأول ٢٠١٣)